محاضرة3: الحياة الاقتصادية بمصرفي العهد الفاطمي

1/الزراعة:

اهتم الفاطميون بالزراعة على اعتبار أنها من أهم مصادر الثروة في مصر وكانت زراعة القمح تمثل الجزء الأكبر من الأراضي المصرية الخصبة ، على الأخص أنحاء الدلتا و الوجه القبلي لأنه الغذاء الرئيسي لأهل البلاد؛ أما الذرة فلم تكن معروفة بمصر في ذلك العهد .

كان الكتان يزرع في الأراضي المنخفضة التي تضل مغمورة بالمياه لمدة طويلة لذلك اشتهرت زراعته في الدلتا و الفيوم، أما قصب السكر فقد توسع المصريون في زراعته على العصر الفاطمي ونستدل على ذلك بقول(نصر خسرو)، الذي زار مصر حوالي 440 هـ« وتنتج مصر عسلا و سكر».

اشتهرت مصر أيضا على عهد الفاطميين بإنتاج أنواع مختلفة من الفواكه ومن أهمها الكروم وتزرع في نواحي الجيزة الفيوم، وبعض الوجهين القبلي و البحري وكذلك شجر النخيل مغروسا في مختلف أنحاء مصر وكانت أسوان أكثر نخيلا من غيرها من جهة الصعيد وبلغ مجموع محصولهما من التمر في السنة الواحدة 36 ألف إردب (عرجون).

اهتمت الحكومة الفاطمية أيضا بغرس أشجار الغابات حتى يتسنى لها الحصول على الأخشاب اللازمة لبناء أسطولها الحربي ومراكبها التجارية ومن أشهر مناطق الغابات في مصرالفاطمية: البهنسا– الاشمونين– أسيوط؛ وقد كان الفاطميون يعاملون الفلاحين معاملة قائمة على التسامح و الرعاية كما حرسوا على عدم انتزاع الأراضي من أيدي أصحابها.

2/ الصناعة :

استُعملت أساليب جديدة في الصناعة في العصر الفاطمي وساعد على تقدمها استقرار البلاد فضلا على حياة الترف التي سادت المجتمع في بعض المدن المصرية خاصة القاهرة والفسطاط، وكان لذلك تأثير كبير على الإنتاج الصناعي ومن أهم الصناعات التي ازدهرت: صناعة النسيج خاصة الأقمشة الصوفية الرفيعة، وكان معظمها يُصدر لبلاد فارس والمنتوجات الحريرية حيث أنشأ المعز دار الكسوة أين كانت تُفصل الثياب لموظفي الدولة وأيضا ألبسة الأمراء والوزراء والأشراف.

كما تتوفر البلاد على صناعة الكتان،حيث عرفت شأنا كبيرا في مصر لوفرة الكتان في دمياط وشرق الدلتا؛ وقد أنشأت مصانع لإنتاج أنواع فاخرة من منتجات الكتان منها: دار الديباج وخزانة البنود التي بناها الخليفة الظاهر الفاطمي؛ وكان بها ثلاثة آلاف صانع لصنع أفخر أنواع الثياب، هذا فضلا على صناعة الزجاج والخزف؛ حيث كانت الفسطاط أكبر مراكز هذه الصناعة إلى جانب الإسكندرية.

صورة: قطعة زجاجية مكسورة من وعاء مرسوم عليها فارس على صهوة جواده تعود إلى العصر الفاطمي

–الصناعة الزجاجية–

صورة: قطعة خشبية بمصر تعود للعهد الفاطمي منقوش عليها آية الكرسي

-الصناعة الخشبية-

3/التجارة:

ازدهر النشاط التجاري في مصر الفاطمية، وكانت الفسطاط والقاهرة أهم مراكزها التجارية ومن مراكز التجارة الداخلية نجد مدينة دمياط – قوص- أسوان بسبب ورود تجارة النوبة والسودان إليها، أما التجارة الخارجية فقد اتسع نطاقها مع البلاد الآسيوية والأوروبية فكانت مصر تستورد الكثيرمن غلات الهند والصين ، كما أن حاجاتها إلى المواد الخام كالخشب والحديد حملتها على استيرادها من بعض الدول الأروبية، وصارت الإسكندرية من المراكز الرئيسية للتجارة فتنتقل منها البضائع الآسيوية إلى أوربا وترد إليها السفن الأروبية محملة بالسلع اللازمة للصناعة المصرية.

كما قامت بين مصر والمدن الإيطالية خاصة جنوة والبندقية علاقات تجارية فأخذت سفن البندقية تنقل الخشب والحديد إلى الموانئ المصرية؛ كما ارتبطت مصر بعلاقات تجارية مع الدولة البيزنطية حيث كان البزنطيون يستوردون المنتوجات المصرية من مصانع تنس ودمياط.

وكانت هناك منشآت أعدت للتجارة مثل القيسارية وهي عبارة عن مجموعة أبنية عامة بها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن، أما المعاملات التجارية فإن جوهر بعد فتح مصر بادر الى سبك دنانير جديدة أطلق عليها بالمعزية؛ وأصبحت مصر تتعامل بالدنانير الذهبية والفضية في عهد الحاكم بأمر الله.